المائة الثانية

١٨١ – يزيد بن أبي مسلم

مولى الحجاج وكاتبه ، وقيل : كان أخاه من الرضاعة . ولاه يزيد بن عبد
[١٨٣-١] الملك فى سنة إحدى ومائة إفريقيَّةَ ، فقدمها فى سنه اثنتين بعدها ، / وفيها كان
مقتله على يد حرسه .

١٨٢ – عبيد الله بن الحَبْحاب
مولى عُقْبَة بن الحَجّاج السَّلُولِىّ القَيْسِىّ

كان والياً على مصر لهشام بن عبد الملك ، فكتب إليه يأمره بالمصير إلى إفريقية ، وذلك فى شهر ربيع الأول – وقيل فى شهر ربيع الآخر – سنة ست عشرة ومائة ، فاستخلف ابنَه القاسمَ على مصر ، واستعمل ابنَه إسماعيل على السُّوس ، واستعمل أيضاً على الأندلس عقبةَ بنَ الحجاج مولاه[1] ، وعزل عبدَ الملك بن قَطَن الفِهْرى .

---

(١) ذكر ابن عذارى فى البيان المغرب : ١/٥٢ – ٥٣ كيف ولّى عبيد الله بن الحبحاب مولاه عقبة بن الحجاج السلولى الأندلس ، وهو خبر لطيف يدل على رجولة ابن الحبحاب ووفائه .

ويقال : كان على الأندلس يومئذ عَنْبَسَة بن سُحَيْم الكلبى ، فهلك عقبة بالأندلس ، فرد عبيدُ الله عليها عبدَ الملك بنَ قَطَن[1] .

وذكر عبدُ الله بن وهب الفقيه أن عبيد الله بن الحبحاب كانت مصر من العريش فى عمله وإفريقيةُ والأندلسُ وما بين ذلك .

وقرأت فى « الكتاب المُعرِب عن أخبار المغرِب » أن عُبيد الله كان كاتباً بليغاً حافظاً لأيام العرب ووقائعها وأخبارها ، ذا بلاغة فى لسانه وقلمه ، وكان يقول الشعر . قال مؤلِّفُه : وكنت سمعت له أبياتاً لم أحفظ منها وقت تأليفنا هذا الكتاب شيئاً فنثبته . وهو الذى بنى المسجد الجامع بتونس ودار الصناعة بها .

وروى عبدُ الله بنُ أبى حسان اليَحْصُبِىّ عن أبيه ـ وكان بليغاً فصيحاً ـ قال : سمعت عبيدَ الله بن الحَبْحَاب يوماً يُملِى[2] رسالةً ويَفُكُّ اسماً من دفتر العطاء ، ويأمر بحاجات فى ناحية أخرى ، ويحكم فى خَلَل[3] ذلك بين رجلين متنازعين .

وقال ابنُ غانم القاضى[4] : كان عبيدُ الله بن الحَبْحَاب رجلا من قَيْس

---

(١) كان عبد الملك بن قطن الفهرى عامل الأندلس منذ مقتل عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فى وقعة بلاط الشهداء فى رمضان ١١٤/ أكتوبر ٧٣٢ إلى أن عزله عبيد الله بن الحبحاب وولى عقبة بن الحجاج السلولى فى شوال ١١٦/نوفبر ٧٣٤ ، وظل عقبة واليا حتى صفر ١٢٣/ يناير ٧٤١ ، فعاد عبد الملك بن قطن إلى ولايتها .

(٢) أى : يملى .

(٣) أى : فى خلال ذلك .

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن شرحبيل بن ثَوْبان الرُّعَينى قاضى إفريقية . ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٠ وتولى القضاء سنة ١٧١ . انظر عنه « رياض النفوس » لأبى بكر المالكى رقم ٨٧ ج ١ ص ١٤٣ — ١٥٥ ، و« معالم الإيمان » للدباغ ، ج ١ ص ٢١٥ ، و« ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك » (مخطوط دار الكتب بالقاهرة) ج ١ ورقة ٤٣ ا .

ثم من بنى سَلول ، مولًى وليس بالصريح . فوَلىَ من إفريقة إلى الخضراء[١] . وكان أوّلُه كاتباً ، ثم تناهت به الحال إلى أن صار إلى المنزلة التى كان بها ، فتحدث ذات يوم بالقيروان فقال : « إنما كنتُ كُوَيْتِباً ، ثم صرت كاتباً ، ثم صرت أميراً ، ثم أنا اليوم أمير كبير ، والحمد لله » .

وقفل عبيدُ الله إلى هشام فى جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين بعد انقضاض البربر عليه وقتلهم عامله بطَنْجَة [عُمر بن عبد الله المُرادى][٢] وانصرف إلى المشرق ، فيُذكر أنه تولى الخراجَ وكتب فيه لمروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بنى أمية بدمشق ، وقُتل عبيدُ الله يومَ قُتل ابنُ هُبَيرة بواسِط ، وقيل بل عاش خاملا فى أيام العباسية .

١٨٣ — منصور بن عبد الله ابن يزيد الحميرى

ذكره أبو على الحسين بن أبى سعيد عبدُ الرحمن بن عبيد القيروانى المعروف بالوكيل فى الكتاب المعروف / « [بالمُعْرِب][٣] عن أخبار المغرب » من تأليفه [١٨٣-ب] فى طبقة أولِى السلطان تالياً لعبيد الله بن الحَبْحَاب . وهو جد محمد المهدى بن أبى

---

(١) التحديد هنا غير دقيق ، لأن الخضراء هى الجزيرة الخضراء ، ولم تقتصر ولاية عبيد الله بن الحبحاب على المغرب فقط بل شملت مصر أيضاً بعض الوقت ، وشملت الأندلس كله . **ولا أذكر فى الولاة من شملت ولايته هذه البلاد كلها إلا ابن الحبحاب . وربما كانت صحتها طنجة الخضراء .**

(٢) انظر عن تفاصيل ذلك ابن عذارى : البيان المغرب : ١/٥١ — ٥٢ . وقد أكملت الاسم الناقص منه .

(٣) أضفت هذه الكلمة إكمالا لاسم الكتاب .

جعفر المنصور وشقيقه جعفر لأمهما ، وهى أم موسى بنت منصور هذا[١] .

وكان شريفاً فى قومه معروفَ المكان فيهم ، مذكوراً بالبلاغة والشعر وكرم الأخلاق . وانتهى ولدُه من الشرف بعده إلى غاية لم يكونوا يؤملونها لقرابتهم من المهدى .

وتزوج أبو جعفر المنصور أمّ موسى هذه ، وهو إذ ذاك سوقة فى آخر ولاية هشام بن عبد الملك ، لما نزلت الحُمَيْمَةَ[٢] من أرض البَلْقاء بعد وفاة زوجها ثم بين[٣] عبيد الله من ولد العباس بن عبد المطلب .

وقيل : بل تزوجها بإفريقية ، وهو رحل[٤] بها ، وكان يطوف البلدان فى زمن بنى أمية ، وأهلُ إفريقية يذكرون أنه طُلب مرة فاستخفى فى قصر صهره منصور الحميرى عند قصر بشير بطريق سُوسَة ، وكان المنصور شرط لها أن لا يتزوج عليها

---

(١) جاء فى جمهرة الأنساب لابن حزم : « ولدُ أبى جعفر المنصور : محمد أمير المؤمنين المهدى ، وجعفر الأكبر ، أمهما أم موسى الحميرية (وهى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد الحميرى المترجم له هنا) ، تزوجها أبو جعفر بالقيروان فى دولة بنى أمية . وكانت قبله عند فتى خليع من ولد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان قد وقع إلى إفريقية فولدت له ابنة ، ومات. فاتصل بقومه (أى ببنى العباس) فنهض أبو جعفر بنفسه لاجتلاب بقيته ، فوجدها قد تزوجت رجلا خياطاً ، وولدت منه ابنا ، ومات الخياط ، فتزوجها أبو جعفر لجمالها ، وسُمى ابن الخياط طيفور. . » (ص ١٩) .

(٢) الأصل : الحسيمة ، وجعلها مولر (ص ٣٥١) : الحصيمة ، وكلاهما تصحيف ، والصحيح الحُمَيْمة ، ذكرها ياقوت (٣/٣٤٦) وقال : بلد من أرض السراة من أعمال عَمّان فى أطراف الشام ، كان منزل بنى العباس . وانظر أيضاً :

GUY LE STRANGE, *Palestine under the Moslems* (London, 1890), p. 455.

(٣) كذا فى الأصل ، ولم أستطع تقويم هذا اللفظ . وقال مولر معلقاً على هذا اللفظ (ص ٣٥١) : غير واضح . فى المخطوط شىء مثل : يز . وهذه العبارة تستقيم إذا جعلناها : ... بعد وفاة زوجها وكان من بنى عبيد الله . . . الخ (انظر جمهرة ابن حزم ، ط . عبد السلام هارون . ص ٢١) .

(٤) هذا اللفظ خَلِق وربما كانت صحته : راحل .

ولا يتسرّى ، وكتبت عليه بذلك كتاباً ، فعذب[١] بها عشر سنين فى سُلطانه ، ثم أتته وفاتُها فأُهديت إليه فى تلك الليلة مائة بكر .

وكانت دار منصور بالموضع الذى به دور بنى قافذ[٢] بالقَيْرَوَان .

وحَفْصٌ صاحب الخراج مولى بنى منصور ، وإليه يُنسب قصر حفص .

ولحق يزيدُ بنُ منصور بأخته أمِّ موسى ، فلما وَلِىَ المهدىُّ ولاه خراسانَ ، وجَلَّتْ حالُه حتى صار الشعراء يمدحون من كان من ولد المهدى بولاء منصور لهم ، ومن ذلك قول أبى نُوَاس فى العباس بن جعفر بن أبى جعفر المنصور :

فجَدّاكَ هذا خيرُ قحطان واحداً وهذا إذا ما عُــدَّ خيرُ نِزارِ

يعنى بالقحطانى منصوراً الحِمْيَرِى ، وبالنِّزارى أبا جعفر المنصور . وقوله فى الأمين :

وما مِثلُ منصورَيْك منصورِ هاشمٍ ومنصورِ قحطانٍ إذا عُدَّ مَفخرُ
فمن ذا الذى يرمى بسهميك فى الورى وعبدُ منافٍ والداك وحِمْيَرُ

وقال سَلْم بن عمرو البصرى[٣] فى المهدى :

أكرمْ بقَرْمٍ[٤] أمينُ الله والدُهُ وأمُّه أمُّ موسى بنتُ منصورِ

---

(١) كذا فى الأصل بوضوح ، ولاندرى ما السبب فى عذابه بها ، لأن الظاهر أنه لم يستمسك بالشرط الذى كتبه لها على نفسه وتزوج فى حياتها كثيرات غيرها . وقد ذكر ابن حزم فى الجمهرة من نسائه فاطمة بنت محمد بن محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، وامرأة من بنى أمية وأمهات أولاد أخريات منهن الكردية أم جعفر أكبر أبنائه (ص ٢١) .

(٢) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن تكون بنى نافذ .

(٣) هو سلم الخاسر . وقد جمع ما ورد فى الأصول من شعره غوستاف ڤون جرونبام فى كتابه « شعراء عباسيون » . انظر الترجمة العربية مع التحقيق والتعليقات بقلم الدكتورين محمد يوسف نجم وإحسان عباس (بيروت ١٩٥٥) ص.٧٧ وما يليها .

(٤) القرم هو السيد .

/وسَلْم هذا هو المعروف بالخاسر ، وقيل له ذلك لأنه باع مصحفاً واشترى [١٨٤-١] بثمنه شِعر امرئ القيس ، وقيل شعر الأعشى ؛ وقيل بل ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، فسُمى الخاسر .

وأبو محمد يحيى بن المبارك النحوى صاحب أبى عمرو بن العلاء ، أحدُ القراء ، إنما قيل له اليزيدى لأنه كان يؤدب ولد يزيد بن منصور ، فنسب إليه ، وكان بعد ذلك يؤدب المأمون .

١٨٤ — عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهرى

انحاز إلى الأندلس مع بلج بن بشر بن عياض القشيرى ومن كان معه من وجوه أهل الشام ، فى المحرم سنة ثلاث وعشرين ومائة ، بعد قتل البربر كلثومَ ابن عياض أمير إفريقية عمّ بلج ، وحبيب بن أبى عبيدة والد عبد الرحمن ؛ وهؤلاء الجند هم المعروفون بالطالعة البلجية بالأندلس . فلم يزل عبدُ الرحمن بها يحاول التغلب عليها ، إلى أن دخل أبو الخَطّار الحسام بن ضِرار الكلبي والياً من قِبل حنظلة بن صفوان الكلبي أمير إفريقية فى رجب سنة خمس وعشرين ، فخافه عبدُ الرحمن وخرج مستتراً فركب البحر إلى تونس ، وأقام بها إلى أن قُتِل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأخيرة سنة ست وعشرين ومائة ، فدعا الناسَ فأجابوه ، وجمع لقتال حنظلة بن صفوان وإخراجه من إفريقية ، فتم له ذلك وانفرد بإمارتها فى قصة طويلة عشرةَ أعوام

وأشهراً . وكان مع بأســـه وبسالته خطيباً مفوهاً ، وهو أحد سادات العرب ورؤسائها بالمغرب[1] .

(١) فصلنا هذه الحوادث فى كتابنا « فجر الأندلس » ، انظر فهرس الأعلام : عبد الرحمن ابن حبيب .

وعبد الرحمن بن حبيب كان ابن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع ، أى أنه حفيد الفاتح العربى الكبير . وكان قد نشأ فى إفريقية وتزعم طائفة عربها ، أى الذين استقروا فيها واتخذوها لهم وطناً أو ولدوا فيها وأصبحوا يعدون أنفسهم عرباً إفريقيين ، وهم يقابلون البلديين فى الأندلس .

وكان أولئك العرب الإفريقيون لا يستريحون إلى العرب الجدد المقبلين من المشرق، ويناوئون الولاة الذين أقامهم بنو أمية ثم بنو العباس ، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم أصحاب الحق فى الولاية والحكم . وقد تزعم هذه الطائفة أول الأمر حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع ، وتصدى لمقاومة ولاة بنى أمية ، وظهر أمره بصورة خاصة عندما ولّى هشامُ بنُ عبد الملك كلثومَ بن عياض القشيرى فى رمضان سنة ١٢٣ وأقبل معه ابن أخيه بلج بن بشر ، وكان شابا عنيفاً شديد الغرور ، أثار غضب عرب إفريقية ، فاجتمعوا حول حبيب بن أبى عبيدة . وكان هذا الخلاف من أكبر أسباب هزيمة جيش كلثوم بن عياض فى موقعة سُبُو ، أواخر سنة ١٢٣ ، وقد قتل فيها عياض وحبيبٌ بن أبى عبيدة ، ونجا بلج بن بشر منهزماً إلى سبتة ثم إلى الأندلس . ونجا كذلك عبد الرحمن ابن حبيب ، فر إلى القيروان ، ثم عبر إلى الأندلس ليحرض عبد الملك بن قطن — الفهرى مثله — على بلج وأصحابه ، فلما قتل عبد الملك بن قطن عاد إلى إفريقية واستطاع أن يتولى أمرها بالقوة سنة ١٢٩ ، وكانت له بعد ذلك أحداث مع أخويه إلياس وعبد الوارث فصل أمرها ابن عذارى (١/٦٠ وما بعدها) حتى قتل سنة ١٣٩ ، ولم ينته أمر بنى عبيدة بن عقبة بن نافع بمقتله بل مضى بالفتنة ابنه حبيب وأخوه إلياس . ولم ينته أمرهم إلا فى المحرم سنة ١٤٠ (راجع ابن عذارى : ١/٧٠) . وإليك تسلسل نسب الظاهرين من أهل هذا البيت كما استخرجته من الحلة السيراء وبغية الملتمس للضبى وجمهره أنساب العرب لابن حزم (ص ١٦٨) والبيان المغرب لابن عذارى (١/٦٠ وما بعدها) ونهاية الأرب للنويرى (القسم الخاص بتاريخ المغرب ، نشره جاسپار ريميرو) .

مع ملاحظة أن ابن عذارى يخطئ هنا فيكتب ابن أبى عبدة مكان ابن أبى عبيدة ، وفى بعض التواريخ التى أذكرها هنا خلاف بين المراجع .

١٨٥ — محمد بن عمرو القرشى العبدرى ابن حميد الغافقى

ثار بالأُرْبُس[1] فى إمارة عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية ، ولم يكن بدونِ

= عبد قيس بن لقيط بن الحارث بن فهر

نافع
عقبة (الفاتح المشهور ، استشهد سنة ٦٣)
أبو عبيدة مرة

سعد
(من مهاجرة الحبشة)

حبيب
يقال إنه قتل عبد العزيز ابن نصير . قتل فى معركة سبو آخر سنة ١٢٣

عبد الرحمن
يوسف
ولى الأندلس ١٢٩ . قتل بعد استقرار عبد الرحمن الداخل ١٣٩

نافع

محمد
قتله حفيد أخيه حبيب بن عبد الرحمن ابن حبيب

عبد الرحمن
اشترك فى معركة سبو ١٢٣ ونجا منها . دعا لنفسه فى إفريقية سنة ١٢٧ . قتله حبيب سنه ١٣٨

إلياس
قتل أخاه عبد الرحمن وحكم نحو سنة حتى قتله ابن أخيه

عبد الوارث
اشترك فى قتل أخيه عبد الرحمن وقتل بدوره سنة ١٤٠

عمران
كان والى تونس عندما قتل أخوه عبد الرحمن سنة ١٣٨ .

أخوه إلياس ١٣٨

حبيب
قتل عمه إلياس . قتل بدوره سنة ١٤٠ .

وسأضيف ملاحظات أخرى فى تعليقاتى على ترجمة يوسف الفهرى .

(١) الأُرْبُس ، كذا أيضاً رسمها ياقوت (١/١٧٠) أما الإدريسى فرسمها بالصاد =

أخيه سليمان المتقدمِ الذكر شجاعةً وبلاغةً وبياناً . وثار مع محمد هذا رجل من البربر يقال له ثابت ، فخرج عبدُ الرحمن بن حبيب لحربهما فانهزما بين يديه ، وسار محمد إلى طَنْجَة ، ثم ظفر به فسجنه وأخاه سليمان ، وعزم على قتلهما ، [١٨٤-ب] فعوجل عبدُ الرحمن قبل ذلك ، وقتله أخوه إلياس بن حبيب فى سنة/سبع وثلاثين ومائة ، وأطلقهما من معتقلهما ، ثم قُتل إلياس فى رجب سنة ثمان وثلاثين .

١٨٦ — عامر بن عَمرو القرشى العْبَدرِىّ

هو عامر بن عمرو بن وهب بن مُصعب بن أبى عُزَيز بن عُمير بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ ، ابن أخى مُصعب بن عُمير صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأُحُد[1] ؛ وهو الذى تُنسب إليه بقرطبة «مقبرة عامر» لِصُقَ سور المدينة الغربى وبابها المعطل إلى أن ملكها الرومُ فى هذه المدة القريبة .

وكان أحدَ رجالات قريش — بل مُضَر — بالأندلس شرفاً ونجدةً وأدباً ، وكان يلى المغازى والصوائف قبل يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِىّ ومعه ، فحسده

= (الأربص) وتكتب فى كتب الجغرافية والخرائط الفرنسية **Laribus** ، كان لها شأن فى أيام الأغالبة بصفة خاصة ، فقد اتخذها زيادة الله بن الأغلب مقاما بعض الوقت ، وهى اليوم بلدة صغيرة تابعة لعمالة الكاف فى شمال غربى تونس .

(١) عامر هذا من نسل زُرَارة بن عُزيز بن عمير ، وعزيز أخو مصعب بن عمير ، وقد أسر عزيز يوم بدر كافراً ، أما مصعب فاستشهد يوم بدر . قال ابن حزم فى الكلام عن زرارة ابن عزيز بن عمير : «وله عقب كثير ، منهم كان عامر بن وهب ، كان له بالأندلس قدر ، وبعث إليه أبو جعفر المنصور سجلا ولواء بولاية الأندلس ، وقام بسرقسطة ، وقتله يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، وله عقب كثير بسرقسطة بقرية تسمى فُرْبُلاَن »(ص ١١٧) . وورد ذكر عامر فى «الأخبار المجموعة» (ص ٦٣) ولكنه أخطأ فقال إنه من ولد «أبى عدى أخى مصعب ابن هاشم ، صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد» ، والصحيح من ولد أبى عُزيز أخى مصعب بن عمير .

وعمل فى إزالته ، فلما بدا ذلك لعامر راسل أبا جعفر المنصور يخطب إليه ولاية الأندلس ، ويسأله أن يرسل إليه بسجلٍّ منه يقوم به . وأظهر التعصبَ لليمانية ، والإكبارَ لما سُفك من دمائهم بشَقُنْدَة فى أول ولاية يوسف .

ثم فرّ عن قرطبة وصار بناحيه سَرَقُسْطَة ، حيث الصُّمَيْل بن حاتم ، يبغى الفسادَ عليه ، وهنالك رجل من بنى زهْرَة يُسمى الحُبَاب ، فكاتبه عامر ومتّ إليه بالمُضَرِية ، ودعاه إلى القيام على الصُّمَيْل فى اليمن بسجلّ أبى جعفر ، فاستجاب له . واجتمع لهما جمع من اليمن ورجال من البربر وغيرهم كثير ، فأقبلوا حتى حصروا الصُّمَيْل بسَرَقُسْطَة فى سنة ست وثلاثين ومائة ، ثم ملكها عامر وصاحبُه الزهرىّ فى قصص طويلة .

وغزاهما يوسف الفهرى فى عقب ذى القعدة سنة سبع وثلاثين ، فخاف أهل سَرَقُسْطَة مَعَرَّةَ الجيش وعَضَّ الحصار ، فأسلموا عامراً وابنَه وهبًا والزهرىّ ، فقيّدهم يوسف ثم قتلهم فى طريقه بوادى الرّمل[1] على خمسين ميلا من طُلَيْطِلَة ، وذلك فى صدر سنة ثمان وثلاثين . فما انقضى ذلك من فِعله ولا دخل رواقَه ، حتى أتاه رسول يركض من ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يطوى البِيدَ ، فأعلمه أن فتًى من قريش من ولد هشام بن عبد الملك ، يقال له عبد الرحمن بن

---

(١) وادى الرمل **Guadarrama** : سلسلة جبال متوسطة الارتفاع تتفرع من سلسلة الجبال الوسطى **El Sistema Central** فى وسط شبه الجزيرة ، تمر فى مديريات مدريد وأبلة وشقوبية ، وتتصل من ناحية الشرق بسلسلة الجبال الإيبيرية ، ونقطة التقائها بسلسلة الجبال الوسطى مرتفع سوموسييرا **Somosierra** ، ويصل وادى الرمل إلى قرب مدريد عند مرتفع ناباثيرادا **Navacerrada** . وينبع من هذه الجبال نهر يسمى وادى الرمل **Rio de Guadarrama** أيضاً يتجه إلى الجنوب مارا بضاحية الإسكوريال ويصب فى نهر تاجه شرق طليطلة . وهذا النهر — كما يدل عليه اسمه — جاف معظم العام تقريباً إلا فى أوقات المطر الغزير .

Cf : Diccionario Geográfico de España, X, 434.

[١٨٥-١] معاوية ، قد عبر البحر إلى الأندلس فنزل بساحل دمشق/ — يعنى بناحية إلْبِيرَة — واجتمع إليه موالى بنى أمية وشِيَعُهم ، وتشوّف الناسُ إليه ، فانتشر الخبر فى العسكر لوقته ، وشِمت الناس بيوسف فسارعوا إلى الرّفض[١] من عسكره ، وقوّضوا إلى كُوَرهم ، وأقبل إلى طليطلة فى غلمانه وقيسٍ قومِ الصُّمَيْل .

ويقال إن كاتبه خالد بن زيد قال له ، بمحضر الصُّمَيْل وزيره وقد فرغ من مؤاكلتهما ذات يوم وهو ببعض منازله فى طريقه : «هنيئاً لك أيها الأمير اكتمالُ سعدِك . قد قتل الله لك كاشِحَك ابنَ شهاب وفلاناً وفلاناً — يعد الأشراف من العرب المقتوانين فى غزوهم الروم — ووفقك لقتل أنغلهم ضميراً هذا العَبْدَرِىّ — يعنى عامراً وابنَه — فمن ذا يعارضك بعدهم ؟ هى والله لك ولولدك إلى الدَّجّال »[٢] .

ثم خرج الصُّمَيْل إلى قبته ، واستلقى يوسف على فراشه — وذلك وقت العصر — فما راعهم إلا بريد يركض ، تشوّف إليه أهلُ العسكر وقالوا : « رسول منْ قرطبة ! » وتطلعوا إلى علم خبره ، فإذا كتابُ أمِّ ولد يوسف[٣] مع غلام خاص لها على بغلتها المشهورة بها ، تذكر أن فتًى من أبناء هشام بن عبد الملك ، يقال له عبد الرحمن بن معاوية ، عبر البحر ونزل بساحة إلْبِيرَة على أبى عثمان[٤] مولاهم بقرية طُرُش[٥] ، فشاء الله أن يكون وارثَ سلطانه ونازعَ مُلكه .

---

(١) أى إلى الارفضاض .

(٢) روى هذه الأخبار بتفصيل أكثر صاحب « الأخبار المجموعة » ص ٧٦ وما بعدها ، ولكنه يقول إن الصميل بن حاتم هو الذى قال ذلك الكلام ليوسف الفهرى ، ونص كلامه هناك : « قد قُتل (سليمان) بن شهاب وقتلت عامراً (المترجم له) و (الحبا -) الزهرى ، هى والله لك ولولدك إلى الدجال ، من هذا ينازعك ؟ » .

(٣) اسمها عند صاحب الأخبار المجموعة « أم عثمان أم ولده وصاحبة سلطانه » (ص٧٨) .

(٤) هو أبو عثمان عبيد الله بن عثمان من كبار موالى بنى أمية فى الأندلس إذ ذاك ، وكان هو وعبد الله بن خالد « يتواليان لواء بنى أمية يعتقبان ذلك » (الأخبار المجموعة ٢ ص ٦٦).

(٥) طرش Torrox مركز إدارى حاليا فى مديرية مالقة ، تقع على ٤٧ كيلومتراً منها .

١٨٧ — يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، أبو محمد

قال ابنُ حَيّان[١] : زعم أبو بكر بن القُوطِيّة أنه يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عُقبة بن نافع الفهرى . قال : وما وجدت هدايةً إلى أن يوسفَ هذا الوالى بالأندلس وَلدٌ له — يعنى عبد الرحمن المتقدم الذكر فى هذا البـاب — ولا وجدتُ منتماه فى جِذْم قومه ، فالله أعلم بشأنه — هكذا فى « المقتبس » .

وقد قال أبو محمد بن حزم فى كتاب « جمهرة الأنساب » من تأليفه — وكثيراً ما يقلده[٢] : عقبة بن نافع الفهرى ولدَ أبا عبيدة ، فوَلد أبو عبيدة حبيباً قاتِلَ عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وعبدَ الرحمن ونافعاً ، فوَلد حبيبٌ عبدَ الرحمن — وَلِىَ إفريقيةَ — وإلياسَ وعبدَ الوارث ، ولهم بإفريقية/ عقب كثير ؛ ووَلد عبدُ [١٨٥-ب] الرحمن بن أبى عبيدة يوسفَ ، وَلِىَ الأندلسَ وله بها عقب ؛ وبالأندلس من فهر عدد عظيم[٣] .

وعن الواقِدِىّ أن أهل الأندلس اجتمعوا على يوسف بنِ عبد الرحمن من أجل أنه قرشى ، رضى به الحَيّان — يعنى المضَرِية واليمانية — بعد ثُوَابة بن

---

(١) الأصل : أبوحيان ، وهو تصحيف .

(٢) أى كثيراً ما يتبع ابنَ حيان فى رأيه .

(٣) انظر « جمهرة الأنساب » ، ص ١٦٨ ، وقد أخذت بهذا الرأى فى شجرة نسب بنى مرة أبى عبيدة بن عقبة بن نافع ، لأن يوسف الفهرى ولى الأندلس فى ٢ ربيع الأول سنة ١٢٩ وقتل بعد تولى عبد الرحمن الداخل الأندلس سنة ١٣٩ ، فهو أقرب إلى أن يكون ابن عبد الرحمن ابن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع . أما القول بأنه ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة فلا يستقيم ، لأن حبيب بن أبى عبيدة قتل سنة ١٢٣ وابنه عبد الرحمن قتل سنة ١٣٨ ، فكيف يمكن أن ابن هذا الأخير تولى الأندلس سنة ١٢٩ وقتل سنة ١٣٩ ؟

سَلَمة[١] ، فرفعوا الحرب ومالوا إلى الدعة ، فدانت له الأندلسُ تسع سنين وتسعة شهور ؛ وكان آخرَ الأمراء بالأندلس ، وعنه انتقل ساطانُها إلى الخلفاء[٢] من بنى مروان — أورد ذلك ابنُ حَيّان .

وحَكى أن اجتماع الناس على البيعة ليوسف كان فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين ومائة ، وفى مثل هذا الشهر من سنة ثمان وثلاثين حل بمرفأ حصن المنكَّب[٣] عبدُ الرحمن بن معاوية ، فالتقى هو ويوسفُ يوم الأضحى ، فانهزم يوسفُ وقُتل كثير من أصحابه ؛ وغَلب عبدُ الرحمن يومئذ على المُلك . ويقال إنه تفاءل يومَ عرفة بما يتفق له فى غده من صحة المشاكلة ، وقال : « يوم عيد ، ويوم جمعة ، وأموى مع فهرى ... أبشروا ، فإنى أرجو أنها أخت وقعة مَرْج راهط ! » فصدَّق الله ظن عبد الرحمن بيومه ذلك .

وقيل إن العلاء بن جابر العقيلى مشى إلى الصُّمَيْل بن حاتم ، وقد التقى الجمعان ، فقال له : « أبا جَوْشَن ! اتق الله ؛ فوالله ما أشبِّه هذا اليوم إلا بيوم المرج ، وإنّ عارَ ذلك لباقٍ علينا إلى اليوم . وإن الأمور ليُهتَدى إليها بالأشباه والأمثال : أموى وفِهْرِىٌّ ، وقيس واليمن ، [و]وزير الفِهْرِىّ فى ذلك اليوم قَيْسِىّ

---

(١) يقال أيضاً ثوابة بن سلامة الجذامى ، كان من جند فلسطين . طلب إليه عرب الأندلس أن يتولى أمرهم عندما انحرف أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى ومال إلى اليمن . وقد تولى ثوابة من رجب ١٢٧/ أبريل ٧٤٥ إلى المحرم ١٢٩/سبتمبر – أكتوبر ٧٤٦ وأعقبت موته فترة شغور تولى الأمر فى بعضها عبد الرحمن بن كثير اللخمى ، ثم اجتمع عرب الأندلس على يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فى ربيع الثانى ١٢٩/ ديسمبر ٧٤٦ – يناير ٧٤٧ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢/٣٥ .

(٢) الأصح هنا أن يقال : إلى الأمراء فالخلفاء من بنى مروان .

(٣) المنكَّب ، وتكتب حاليا **Almuñecar** : فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز مُطْرِيل **Motril** الإدارى فى مديرية غرناطة ، وتقع على ٢٣ كيلومتراً شرقى هذا البلد الأخير . وقد اختصها صاحب « الروض المعطار» بمادة طويلة (انظر رقم ١٧٩ ص ١٨٦ من النص العربى وص ٢٢٥ من الترجمة الفرنسية ، وتعليق رقم ١) .

وهو زُفَر بن الحَرِث ، ووزير هذا اليوم أنت ، وأنت قيسى . . ويوم عيد فى يوم جمعة أيضاً ، ويوم المرج يوم عيد فى يوم جمعة ! الأمر والله علينا ما أشك فيه » ، فأبى عليه[1] . ومن شعر زفَر بن الحَرِث فى يوم مرج راهط وقُتل فيه ابناه :

---

(١) المقارنة هنا بين موقعة المـُصَارة وموقعة مرج راهط المعروفة التى قررت مصير الدولة الأموية فى المشرق فنقلت الأمر من السفيانيين إلى المروانيين ، وأنقذت الدولة بذلك لأن السفيانيين لم يكن فيهم من يستطيع الثبات أمام عبد الله بن الزبير ، فلما نهض مروان بن الحكم وكسب معركة المرج صارت الخلافة إليه ، فتمكن من جمع صفوف بنى أمية والثبات للزبيريين . والمقارنة بين الوقعتين طريفة ، لا من حيث الظروف العامة فقط بل من حيث النتائج أيضاً ، والأمر الوحيد الذى يحتاج إلى تحقيق هو مقارنة التواريخ ، لأن وقعة مرج راهط استمرت عشرين يوما فى حين أن المصارة دامت يوما واحداً . والمقارنة بين الأشخاص فى كلام العلاء بن جابر العقيلى لا تخلو من طرافة .

فالأموى فى المرج مروان بن الحكم ، وفى المصارة عبد الرحمن بن معاوية .

والفهرى فى المرج الضحاك بن قيس الفهرى ، وفى المصارة يوسف الفهرى.

وكان الضحاك بن قيس مذبذباً متردداً كما كان يوسف الفهرى ، فكما كان هذا الأخير يظهر الرغبة فى التفاهم مع عبد الرحمن بن معاوية كان الضحاك « إذا جاءته اليمانية وشيعة بنى أمية أخبرهم أنه أموى ، وإذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير » (الأغانى : ١٧/١١١) .

وزفر بن الحارث الكلابى أيضا يشبه الصميل بن حاتم ، فقد كان كل منهما بدوياً صرفاً عنيفاً وصاحب مكر ودهاء ، فقد كان زفر بن الحارث زبيرى الهوى ولكنه عرف كيف يجمع طائفة كبيرة من قيس إلى صفه ويقودهم فى المعركة .

ويقابل عبيدُ الله بن عثمان — كبيرُ موالى بنى أمية ونصير عبد الرحمن فى معركة المصارة — حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبى زعيمَ اليمنية ونصير البيت الأموى ، ومن المعروف أن اليمنيين كانت لهم الكلمة العليا فى دولة بنى أمية أيام يزيد بن معاوية وابنه معاوية الثانى ، فقد كانت أم كل منهما يمنية ، وكان حسان بن بحدل خال يزيد وصاحب سلطان عظيم فى دولة بنى أمية ، وقد انضم إلى مروان بن الحكم دفاعاً عن مركز اليمنية أمام القيسية الثائرة عليها والمؤيدة لابن الزبير .

انظر : يوليوس ڤلهاوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبى ريدة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٦٧ وما يليها .

والمصارة كانت إذ ذاك ضاحية من ضواحى قرطبة القوطية ، وكانت تقع جنوبيها على شاطىء الوادى الكبير ، وفى العصر الإسلامى أصبحت المصارة جزءاً من قرطبة وإن ظلت خارج سور البلد ، وهى امتداد « الرصيف » ناحية الجنوب بمحاذاة النهر .

لَعَمْرى لقد أبقت وقيعةُ راهطٍ [بمروانَ صَدعاً][1] بيننا متنائيَا
فلم تُرَ مِنّى زلةٌ قبـــلَ هذه فرارى وتركى صاحبىّ ورائيا
أيذهب يوم صالح أن أسامَهُ بصالحِ أيامى وحُسنِ بلائيا ؟
[١٨٦-١] /أتُترك كلبٌ لم تنَلْها رماحُنا وتذهبُ قتلَى راهطٍ هى ما هيا[2] ؟
فلا صُلحَ حتى تَدْعَسَ الخيلُ بالقَنا وتثأرَ من نسوانِ كلبٍ نسائيا

واضطرب يوسف الفِهْرِى بعد هذه الوقعة عليه بالمصارة ، فجال فى البلاد ، ثم نكث بعبد الرحمن بعد قبوله أمانَه ، وخرج عليه منازعاً ، فظفر به وقتله[3] .

واستوسق لعبد الرحمن مُلك الأندلس ، فلم يبق له مخالف من أهلها ، فطال أمدُه وتوارث سلطانَه عَقِبُه . وعن الرازى أن يوسف تمثل عند دخوله عسكر عبد الرحمن ببيت حُرْقة بنت النعمان :

بينا نسُوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحن فيهم سوقةٌ نُتَنَصَّفُ

وكانِ معدودًا فى فصحاء الأمراء ، وابنهُ أبو الأسود كذلك . وكان مقتل يوسف فى سنة اثنتين وأربعين ، وألحق به ابنه عبد الرحمن بن يوسف ، وكان محبوساً بقرطبة .

---

(١) أكملت البيت من الأغانى (١٧/١١٢) .

(٢) فى الأصل : وترهبُ قلبى راهطٌ . . . ولا معنى للشطر على هذه الصورة ، فقومته كما هو فى المتن أعلاه ، وهو تقويم يجيزه رسم المخطوط . وورد هذا الشطر فى الأغانى :

* ويترك قتلَى راهط هى ماهيا *

(٣) الصحيح أن عبد الرحمن لم يقتل يوسف الفهرى . الذى حدث هو أنه صالحه وأعطاه الأمان وأتى به إلى قرطبة مع الصميل بن حاتم . ثم فر يوسف وتحصن بماردة وجمع جيشاً من ٢٠ ألفاً معظمهم من البربر وأراد المسير نحو قرطبة ، ولكنه هزم وتشتت جنده فهرب إلى ناحية طليطلة ، وظل شارداً حتى قتله بعض أتباعه وأتوا برأسه عبدَ الرحمن سنة ١٤٢/٧٥٩ - ٧٦٠ .

١٨٨ — ابنه محمد بن يوسف ، أبو الأسود

هرب عند مقتل أبيه يوسف هو وأخوه خضر ، إلى أن جيء بهما فحُبسا مدة . وادعى أبو الأسود هذا العمى حيلةً وهو مبصر ، فزعم أن الماء نزل بعينيه . وأحسن التمثُّل لذلك ، حتى جازت حيلته ، واشتبهت حركاته بحركات العميان ، ووقع الإشفاق عليه والرثاية له . وهُوِّن من حبسه ، حتى كان يقعد عنه الموكَّل به اختباراً لهدايته ، إذا خرج لوضوئه وقضاء حاجته ، فيبقى حائراً ينادى : « من يقود الأعمى إلى محبسه ؟ » ، فيُرَد . وكان أهل الحبس يومئذ ينزلون إلى النهر الأعظم — قُرْبَهم — للطهور والوضوء ، على سرداب اتُّخذ لهم تحت الأرض ، إذ كان مكانه يومئذ لِصْقَ القصر ، على الهِبْط[1] ، والرقباء عليهم . وقد أهمِل ارتقابُ أبى الأسود هذا ، عندما وُجد السبيلُ للأمان منه من أجل عماه ، فتحيل هنالك فى التدبير مع موالٍ له كانوا بقرطبة معه ، وانتهز فرصة أجاز فيها الوادى سبحاً إلى خيل له قد أعدت بشاطئه[2] مع ثقات أصحابه ، فركب وفر ركضاً ، فنجا ولحق بطليطلة . / ودعا إلى نفسه ، واستمال الناس بموضِعِه ، وسار فى عسكر [١٨٦ب] جحفل حتى حل بأحواز جَيّان . فخرج إليه عبدُ الرحمن بن معاوية فى جيوشه ، فلاقاه مرةً بعد مرة ، يهزمه فى كل منها ويقتل له الجمع الكبير . وكانت بينهما بقَسْطَلُونة — على مخاضة الفتح[3] — حرب شديدة ، مكر عبدُ الرحمن فيها

---

(١) يفهم من هذا أن اسم الهبط كان يطلق على ذلك الجزء المنخفض من شاطىء النهر المجاور للماء ، وكان سرداب السجن ينتهى عنده .

(٢) الأصل : بشاطبة ، وكذلك قرأها دوزى (ص ٥٦) وهو مستبعد . والصحيح ما أثبتناه ، والمراد الشاطىء الآخر .

(٣) ليس من السهل تحديد موقع هذه المعركة بدقة ، لأن قسطلونة المذكورة هنا كانت قرية تسمى Cazlona إلى جوار بلدة لينارس Linares الحالية فى شمال مديرية جيان ، وكان اسمها

بأبى الأسود ، فراسلَ صاحبَ ميمنته ، وواطأه على جر الهزيمة من جهته ، ففعل . وانهزم أبو الأسود ، وقتل عامةُ رجاله ، فلم تقم له بعدُ قائمة . وذُكر أنه تمثل يومَ قَسْطَلونة :

وموقفٍ مثل حد السيف قمتُ به أحمى الذمارَ وترمينى به الحَدَقُ

وعن الرازى : أن هذه الوقيعة بمخاضة الفتح كانت يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين ومائة ، بعد مواقفةٍ قبل ذلك أياماً كثيرة . قال : وقُتل لأبى الأسود فيها أربعة آلاف من أصحابه ، سوى من تردى فى النهر ، ووقع فى الهاوى ، وتلف فى الشعاب . وبلغ فى هزيمته إلى قَسْطَلونة على وادى الأحمر ، ومضى على وجهه إلى ناحية الغرب ، فبلغ مدينة قورية[1] ، وتمادى فى شروده وخلافه إلى أن هلك فى سنة سبعين ومائة .

= فى القديم **Castulone Castulo** (راجع معجم الأماكن الملحق بالترجمة الإسبانية للأخبار المجموعة ص ٢٥٠) . ونهر الوادى الأحمر المذكور هنا هو المعروف اليوم باسم **Quadalimar** نهير من نهيرات الوادى الكبير ، وينبع من جبال شقورة . وهذا النهر يتكون من نهيرات صغيرة **arroyos** تمتلىء بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات ، فلابد أن مخاضة الفتح المذكورة هنا كانت فى ذلك الموقع . ويفهم من النص بعد ذلك أن المعركة كانت عند المخاضة ، ثم هرب أبو الأسود إلى قسطلونة . وللشاعر الأندلسى عاصم بن زيد بن يحيى العبادى أبيات فى تهنئة سليمان ابن الأمير عبد الرحمن بنصره فى هذه المعركة ، ويفهم منها أنه هو الذى كان يقود جيش الإمارة فيها .

انظر بالإضافة إلى المرجع المذكور فى النص :

***Diccionario Geográfico Español*, X, p. 420**

والإحاطة لابن الخطيب ، مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ، ص ٣٥١ – ٣٥٢ .

(١) قُورِيَة : فى التقسيم الإدارى الأندلسى كانت قورية من مدن كورة ماردة ، وكانت تابعة لقاعدة الكورة وهى ماردة (صفة الأندلس للرازى ، رقم ٤٦ ص ٨٦) . وهى مدينة قديمة عرفت قبل الفتح العربى باسم **Caurium** ، وهى من فتوح موسى بن نصير ، وقد أصبحت بعد ذلك من كبار معاقل إقليم الجوف وإن كانت دائماً معقلا للثوار والخارجين على الخلافة ، وقد استولى عليها أردونيو الأول ملك ليون سنة ٢٤٦/٨٦٠ ولكن المسلمين استردوها . ومهد إقليمها وأخلاه من الثوار عبد الرحمن الناصر ، ثم أتم عمله المنصور بن أبى عامر . وفى أيام الطوائف صارت قورية من توابع إمارة بنى الأفطس فى بطليوس ، ومن أيديهم استولى عليها ألفونسو=

وقيل إن عبد الرحمن غزاه فى سنة سبعين ، فلما أحس به فرّ عن قورية ، وانقطع وحدَه ، وانحاز إلى غياضٍ أشِبَةٍ ، ثم صار إلى رَكَانَة[1] من طليطلة فمات هنالك .

وقام بعده أخوه قاسم بنُ يوسف ، فغزاه عبدُ الرحمن بن معاوية ؛ فلما دنا منه خرج إليه بلا أمان ، فتقبّله وأمّنه ، ونقله إلى قرطبة وأحسن إليه ، وكان آخر المخالفين عليه .

=السادس قبل استيلائه على طليطلة ، ولكن المرابطين عادوا فاستردوها . وفى أيام الموحدين أصبحت معقلا إسلامياً ونقطة دفاع من جديد ، ولم تسقط نهائياً إلا حوالى ٥٩٧/١٢٠٠ فى يد ألفونسو الثامن . وهى اليوم مركز إدارى فى مديرية قَصْرِش Cáceres فى غرب إسبانيا ، وتقع على نهر الحَجُون El-Alagón أحد النهيرات التى تصب فى تاجه ، وإقليمها خصب كثير المزارع ، وهى قريبة من حدود البرتغال .

ويخلط فى بعض الأحيان بين قُورِيَة وقَوْرَة ، وهذه الأخيرة هى Coria del Río فى مديرية إشبيلية .

انظر : الإدريسى ، ص ١٨٣ . الروض المعطار ، رقم ١٥٣ ص ١٦٥ والترجمة الفرنسية ص ١٩٨ . مادوث : ١٦/٧ وما يليها .

(١) المقصود بلدة Requena ، مركز إدارى فى مديرية بلنسية على ٦٩ كيلومتراً إلى شرق بلنسية . ومن المعروف أن كورة بلنسية كانت تصاقب كورة طليطلة فى التقسيم الإدارى الأندلسى ، والحدود بين الكورتين ليست واضحة لنا .

١٨٩ — الحُصَيْن بن الدَّجْن بن عبد الله بن محمد بن عَمرو ابن يحيى بن عامر بن مَلك بن خُوَيلد بن سَمْعان ابن خفاجة [1] بن عمرو بن عُبيد العُقَيْلى

كان ممن استجاب لداعية عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس ، ومال إلى أنصاره من القَحطانية واليمانية ، للذى كان بينه و بين الصُّمَيل بن حاتم الكِلابى من المنافسة المعلومة على الرئاسة . وهو ممن أشار علَى يوسف بن

---

(١) فى الأصل : خفافه ، والتصويب من جمهرة أنساب العرب (ص ٢٧٤) فقد قال ابن حزم فى نسب بنى عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : « ومن بنى خويلد بن سَمعان ابن خفاجة : بنو الحصين بن الدجن بن عبد الله بمَنْتِيشَة بالأندلس ، ودارهم جيان ووادِيَاش ؛ وهم بنو عطاف بن الحُصَيْن بن الدَّجْن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن يحيى بن عامر بن خُوَيلد بن سمعان ، منهم كان إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن صخر بن عطّاف » .

ووادياش هى وادى آش Guadix ، كانت فى التقسيم الإدارى الأندلسى تابعة لكورة إلبيرة (وهى غرناطة) وتقع على السفح الشمالى لجبل الثلج Sierra Nevada الذى يسمى أيضاً جبل شُلَير (عن اللاتينية Solarius Mons) ، واسمها معرب عن اللاتينية acci ، كانت أيام القوط مركزاً لأسقفية تسمى كرسى أَكْشِي Sedes Accitana ، وتقع على نهير كان يسمى باسمها أيام العرب ، ويسمى الآن Rio Fardes الذى يسمى أيضاً Anchurón ، وعلى مقربة منها موضع عين ماء معدنية يسميه العرب جِلْيَانَه (معرب عن Juliana) ، وقد اشتهرت بتفاحها حتى كانت تسمى جليانة التفاح (ياقوت : ٣/١٣٠) وهذا الموضع يسمى الآن Graena .

وكل سفح الجبل الذى تقوم عليه وادى آش كان يسمى سَنَد وادى آش (اليوم Marquesado del Zenete) . وعندما قام محمد بن نصر بن الأحمر بإنشاء دولته ضمها إليها سنة ٦٣٠/١٢٣٢ . وقد سقطت وادى آش فى يد فرناندو وإيزابيلا سنة ٨٩٥/١٤٨٩ .

انظر : ياقوت : ١/٢٥٧ (يكتبها تحت إش) . الإدريسى ، ص ٢٠٢ . الروض المعطار ، رقم ١٨٤ ص ١٩٢ والترجمة الفرنسية ، ص ٢٣٣ والتعليقات . و :

SIMONET, *Descripción del Reino de Granada* (1872) p. 78-101.

وانظر مادة زايبولد عنها فى د. م. إ ، ٢/١٨٩ — ١٩٠ .

وهى اليوم مركز إدارى فى مديرية غرناطة على ٥٣ كيلومتراً شمالى شرقها .

عبد الرحمن الفِهْرى باستبقاء عامر العَبْدَرى وابنِه وهب والحُباب / الزُّهْرِى [١٨٧-١] بعد قبضه عليهم ، فكف عن قتلهم حينئذ وشد صفادَهم .

وأغزى طائفةً من عسكره إلى البَشْكُنْس فى ضعف وقلة ، لم يكره عَطبَهم . وبعث على خيلهم الحُصَيْن هذا ، فهزمهم الرومُ وقتلوا أميرَهم سليمانَ ابنَ شهاب ، ونجاالحُصَيْن . وحضر يوم المصارة مع عبد الرحمن ، فكان — فيما رُوى — على خيله ، لصحة علمه بالعداوة التى كانت بينه وبين الصُّمَيل ابن عمه . وكان الحُصَيْن فارس أهل الشام بأساً ونجدة ، وكان شاعراً . فلما استوسق الأمرُ لعبد الرحمن بن معاوية ، عرف له صالحَ بلائه ، فاختصه وولاه الشرطة . وقرأت اسمَه فى شهود الأمان الذى عقده عبدُ الرحمن ليوسف الفِهْرى عند اصطلاحهما بإلْبِيرَة ، وذلك فى يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين ومائة .

١٩٠ — المُخَارق بن غِفَار الطائى

لما وجه أبو العباس السفاح عمه عبد الله بن على إلى محاربة مروان بن محمد المعروف بالجعدى سنة ثنتين وثلاثين ومائة ودنا منه بالزاب[1] عبره المخارق

---

(١) المقصود هنا زاب العراق لا زاب المغرب كما هو واضح . ومن المعروف أن هناك أربعة أنهر فى العراق تحمل هذا الاسم : اثنان منها يصبان فى دجلة من ناحية الشرق ، الزاب الأعلى وينبع من الجبال الواقعة بين أرمينية وآذربيجان ويصب فى دجلة عند مدينة الحديثة ، والزاب الأدنى — الذى يسمى بالمجنون لتغييره مجراه دواماً — وينبع من ناحية شهرزور ويصب فى دجلة عند بلدة السن ، وقد أفاض الجغرافيون فى التحدث عن خصب =

ابن غفار الطائى هذا ، وكان من جند عبد الله وثبت فى أصحابه فأسر ولم يعرف أنه المخارق ، فكان محبوساً فى عسكر مروان إلى أن انهزم واستولى عبد الله على عسكره وتخلص المخارق . وكان ممن سعى قبل ذلك مع أبى مسلم .

ولما وجه أبو جعفر المنصورُ محمدَ بنَ الأشعث الخزاعى — وهو عامله على مصر — إلى إفريقية ، وجهز الجيوش إليه ، عهد إليهم إن حدث بابن الأشعث حدث فالأميرُ الأغلبُ بن سالم ، فإن حدث به حدث فالأميرُ المخارقُ بن غفار ، فإن حدث به حدث فالأميرُ المحاربُ بن هلال الدارمى ، فهلك المحارب فى الطريق قبل أن يصلوا إلى إفريقية ، وولى المخارق من قبل ابن الأشعث طرابلس فى مَقدَمه عليها من مصر ، ثم استدعاه فولاه طُبْنَة[1] . وعند قيام الحسن بن حرب الكندى على الأغلب فى ولايته وإقباله إلى القيروان فى عدة عظيمة ، جمع الأغلب أهل بيته وخاصة أصحابه وتكلم بكلام أعلمهم فيه أنه يلاقى الحسن

=الأراضى الواقعة بين هذين النهرين . أما الزابان الآخران فى العراق أيضاً فإلى الجنوب من هذين : بين بغداد وواسط ، ويسمى الأربعة بالزابات .

انظر : ياقوت : ٤/٣٦٤ — ٣٦٥ و :

GUY LE STRANGE, *Lands of the Eastern Caliphate*, (Cambridge, 1930) p. 90 sqq.

(١) طُبْنَة : كانت قاعدة زاب المغرب ، وهو المنطقة الواقعة جنوبى مدينة قُسَنْطِينة الحالية بين شط هُدْنَة وجبال أوراس . وقد سكنت إقليم الزاب جماعات من مهاجرة العرب من أوائل أيام الفتح واختلطت بالنازلين هناك من البربر ، ومعظمهم من هوارة ، وكان الزاب معروفاً بخصبه ووفرة ثماره ولهذا كان من أعمر نواحى المغرب الأوسط . وينقسم الزاب قسمين : الزاب الأعلى ويمتد من جنوبى قسنطينة إلى ساحل البحر إلى الغرب ، والزاب الأسفل ويمتد من جنوبى قسنطينة إلى سفوح جبال أوراس . وكان الأول تابعاً من الناحية الإدارية لولاية إفريقية (تونس الحالية) ولهذا كان عربه يعدون أنفسهم من عرب إفريقية ، وكثر نزاعهم مع ولاتها ، أما الزاب الأسفل فكان معدوداً فى المغرب الأوسط ، أى الجزائر الحالية .

انظر : اليعقوبى ، صفة المغرب ، ص ١١ . ياقوت : ٤/٣٦٥ .

وحده إن لم يعنه أحد ولو كان فى ذلك إتلاف[1] نفسه ، ثم أنشأ أبياتاً قالها :

سِيّان موتٌ بالقنا وبالسَّقَمْ / والقتلُ فى الهيجاء أدنى للكرمْ [١٨٧-ب]

موتى غداً تحت لوائى والعلَمْ

ثم دعا المخارق بن غفار فقال له : « إن فى أهل بيتى من هو أولى بما دعوتُك له منك وأقعَدُ باستخلافى إياه ، غير أنى كرهت أن يقول قائل : [انفرد][2] بها فى أهل بيته وأن تميل بكم العصبية » . ثم وصاه بالطاعة وحذره عاقبة الخلاف ، فأجابه المخارق بكلام فيه بلاغة وبيان معترفاً له بحقه ، وقام بالأمر بعده ، وهو الذى صلب الحسن بن حرب بالقَيْرَوَان ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

ثم قدم يزيد بن حاتم والياً على إفريقية من قِبل أبى جعفر المنصور ، فكانت له فى أيامها أخبار . وحكى صاحب « الكتاب المُعرِب عن المغرب » أن المخارق ركب يوماً فى بعض الحروب الإفريقية على فرس أنثى وبيده القناة فبرز بين الصفين وهو يقول متمثلا :

رائعة تحمل شيخاً رائعا مُجرباً قد شهد الوقائعا

قال : وكان شريف القدر عظيم الحال لا يُقايَس إلا بابن الأشعث والأغلب بن سالم وأمثالهما . وأخوه السِّندى بن غفار وابنه المُهنّا بن المخارق لاحقان به .

---

(١) الأصل : تلك تلاف .

(٢) أضفت هذه الكلمة للسياق .

١٩١ — رَوح بن حاتم بن قَبِيصَة بن المهلَّب
ابن أبي صُفرة الأزْدِى العَكِّى، أبو خَلَف

حجب أبا جعفر المنصور أولَ أيامه ، وقبل التعلق به نظر إليه رجل واقف فى الشمس عند باب المنصور فقال له : « لقد طال وقوفك فى الشمس ! » فقال : « ليطول قعودى فى الظل . . »

ووَلىَ الكوفةَ والبَصْرةَ للمهدى . ووَلىَ أيضاً السِّنْد وطبرستان وفلسطين ، ثم وَلىَ إفريقية والمغرب لهارون الرشيد ، وذلك لما بلغه موتُ أخيه يزيد بن حاتم ، فعزاه الرشيد وقال : « أعْرِفُ أن له صنائعَ بالمغرب ، ولا آمن عليهم متى ولَّيتُ غيرَك ، ولكن اخرج من فورك إلى إفريقية ، وحُطَّ صنائعَه » . فخرج من فوره وشيَّعه الرشيد وودعه وانصرف . ثم لحقه وصاح به : « يا وَيْحَ[1] ! لا ترجع ، ولا تنزل . أنت مسافر وأنا مقيم ! » ثم سايره وقال : « عليك بالزاب ، املأْه خيلا ورَجْلا » .

وكان لرَوْح رأى وحزم وشجاعة وجود وصرامة ، وهو أسَنُّ من أخيه يزيد وأنبه منه ذكراً بالمشرق . ومن عجيب الأخبار وطريف الآثار أن المنصور وجَّه يزيد بن حاتم إلى إفريقية ورَوْحاً أخاه إلى السِّنْد ، /فقيل له : يا أمير [١٨٨-١] المؤمنين ، لقد باعدت بين قبريهما ! فقضى أن ماتا جميعاً بالقيروان ، ودفنا بباب سَلَم[2] ، وعليهما سارية مكتوب فيها اسماهما .

---

(١) كذا ، وربما كانت صحتها : ياروح .

(٢) باب سلم مقبرة مشهورة خارج القيروان ، وفيها قبور نفر كبير من الصالحين وأهل العلم ، وذكره كثير فى رياض النفوس للمالكى .

ولرَوْح يقول أبو دلامة ، وقد قال له : « لو خرجت معنا ! » فى خروجه لقتال الخوارج :

إنى أعوذ بَرَوْحٍ أن يقدِّمنى ... إلى القتال فتَخزَى بى بنو أسدِ
إن الدُّنوَّ إلى الأعداء نعلمهُ ... مما يفرق بين الروح والجسدِ
إن المهلَّبَ حُبَّ الموت أورثكم ... ولم أرِثْ جَلَدًا للموت من أحدِ

وأما أنباؤه فى الجود فكثيرة ، منها أنه كان يوماً جالساً فى مَنظرة مع جاريته « طِلَّة » وكانت بارعة الجمال ، إذ طلع خادم له بقادوس مملوء ورداً فى غير أوانه فاستحسنه وأمر بأن يملأ دراهم لمُهدِيه ، فقالت الجارية : « ماأنصفته ! » ، قال : « وكيف وقد ملأته بدلا من ورده دراهم ؟ » ، قالت : « فإن ورده أحمر وأبيض ، فاخلط له الصلة » ، فأمر بدنانير فمزجت مع الدراهم .

ومنها — ويستدل به على بلاغته ورسائِله اللاحقة بنمط الكُتّاب — أنه وجّه فى ولايته إفريقية إلى كاتبه بثلاثين ألف درهم ، وكتب معها : « قد بعثتُ إليك بثلاثين ألف درهم ، لا أقلِّلُها تكثُّراً ولا أكثِّرها تمنُّناً ، ولا أستثيبُك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء ، والسلام » .

وبالجملة فهؤلاء المَهالِبَة أخلدُ العرب شرفاً ، والأمداح فى مقاصدهم قصْد إذا كانت سرفاً .

ويُحكى أنه مات لروح هذا ولد ، فأقبل الحىُّ يعزونه ، فألفَوْه رخىَّ البال ضاحكَ السن ، فتوقفوا عن تعزيته ، وعرف ذلك فأنشأ يقول :

وإنا لقومٍ ما تفيض دموعُنا ... على هالكٍ منا وإن قَصم الظهرا

وهذا البيت فى شعر لأبى الهيْدَام عامر بن عمارة بن خُرَيْم المُرِّى يرثى به أخاه ، وكان قد قتله عاملُ سَجِسْتان للرشيد ، فجمع أبو الهيْدام جمعًا عظيماً لطلب ثأر أخيه وقال فى ذلك :

سأبكيك بالبِيض الرِّقاق وبالقَنا ... فإنَّ بها ما أدركَ الطالب الوِتْرا
ولستُ كمن يبكى أخاه بعَبرةٍ ... يعصِّرها من جفن مقلته عصرا
[١٨٨-ب] / ولكننى أشفى فؤادى بغارةٍ ... ألهِّبُ فى قَطْرَىْ جوانبها الجَمْرا
وإنا أناس ما تفيض دموعُنا ... على هالكٍ منا وإن قَصم الظهرا

١٩٢ — ابن أخيه داوود بن يزيد بن حاتم

استخلفه أبوه يزيد على إفريقية فى مرضه الذى توفى منه فى شهر رمضان سنة سبعين ومائة ، فجعل على شرطته خالد بن بَشير ، وبعث أخاه المهلَّب بن يزيد والياً على الزاب ، وقد كان قبل ذلك عليها من قِبل أبيه حين عزل المخارق ابن غفار الطائى عنها .

وأقام داودُ والياً تسعةَ أشهر ونصف شهر إلى أن قدم عمُّه رَوْح بن حاتم أميراً على المغرب من قِبل هارون الرشيد ، وقَفَل داودُ فولاه الرشيدُ مصرَ سنة أربع وسبعين ، ومات بالسند وهو أمير عليها ، وكان جواداً ممدوحاً معدوداً فى أدباء الأمراء وله يقول مُسلم بن الوليد :

اللهُ أطفأ نارَ الحرب إذ سَعَرتْ ... شرقاً بمُوقِدِها فى الغرب داوودِ
ماضى العزيمةِ لا تخلو بديهتُه ... رأىَ المهلَّب أو رأى الأيازيدِ[1]

(١) الأيازيد جمع يزيد ، والمراد أولاد يزيد بن حاتم بن قبيصة والى المغرب لأبى جعفر المنصور ، وقد سبقت الترجمة له .

= وقد حكم المهالبة إفريقية ٢٣ سنة ما بين ولاية الأغلب بن سالم التميمى جد بنى الأغلب وولاية هرثمة بن أعين فى ربيع الآخر سنة ١٧٩ ، وجاء بعد هرثمة محمد بن مقاتل العكى سنة ١٨١ فحكم حتى جمادى الآخرة سنة ١٨٤ ، ثم تولى إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، وبدأت دولة الأغالبة . فكان المهالبة بذلك أسرة توالى رجالها على حكم المغرب فى الفترة بين استبداد بنى أبى أمية عبيدة بن عقبة بن نافع وبنى الأغلب بن سالم بن عقال .

وقد رأيت لهذا أن آتى هنا بشجرة من تولى منهم أمر إفريقية :

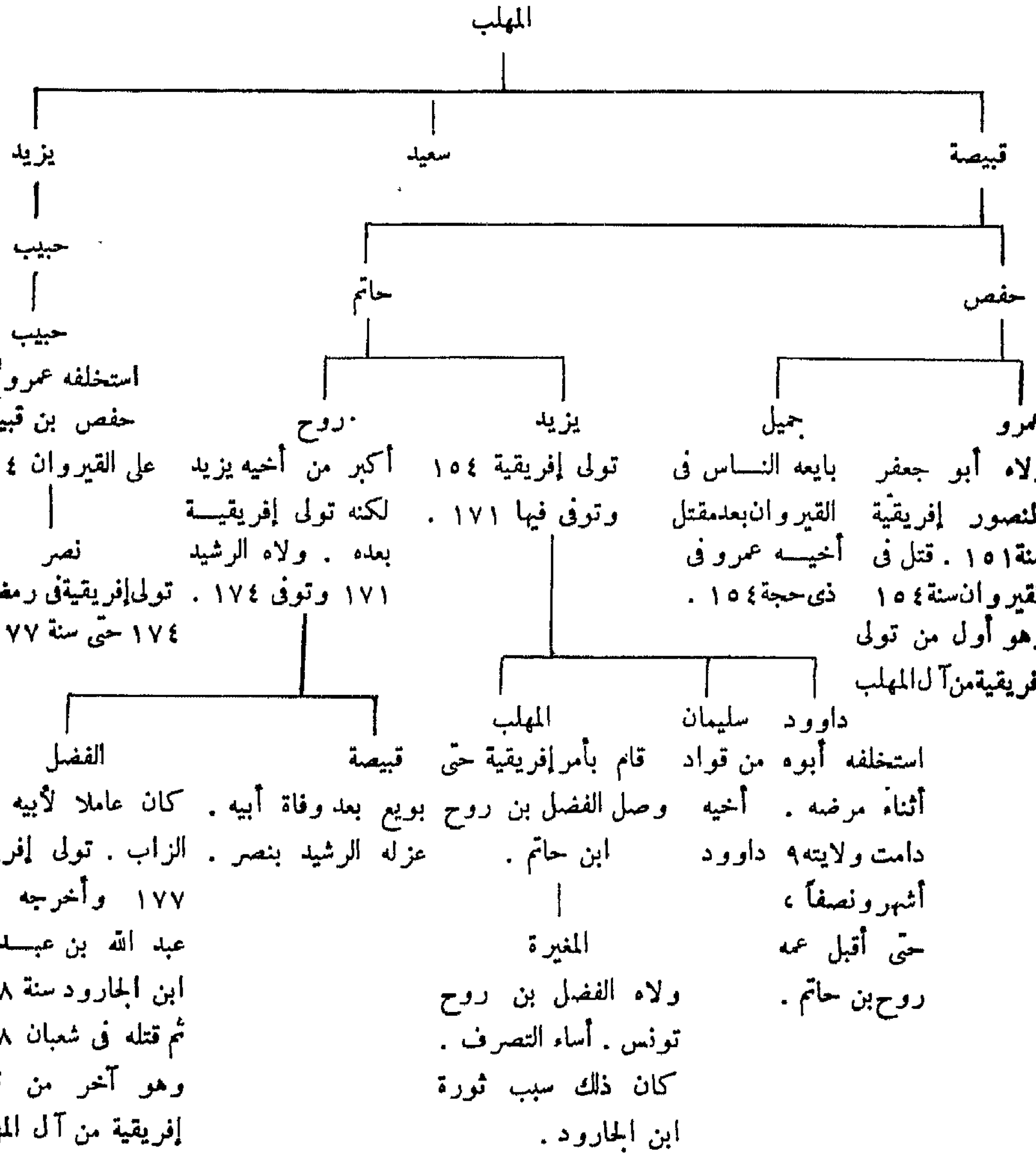

وقد رجعت فى ذلك إلى الطبرى وابن خلدون وابن الأثير وابن عذارى والنويرى وابن الأبار .

١٩٣ — نصر بن حبيب المهلبى

كان على شرطة ابن عمه يزيد بن حاتم فى ولايته كلها بمصر وإفريقية ، وكان محمود السيرة ، محببا إلى الناس ذا أدب ومعرفة ، فلما وَلِىَ رَوْحُ بن حاتم بعد أخيه يزيد — وقد أسنَّ وكبر حتى كان إذا جلس للناس كثيراً ما يغلبه النوم من الضعف — كتب أبو العنبر القائد وصاحب البريد إلى هارون الرشيد بضعف روح وكبره ، وسألاه منه ولاية نصر هذا فى السِّر ووصفاه بحسن السيرة ، وبأنَّ له سنًّا ومعرفة ، فكتب الرشيد عهدَه وبعث به سِرًّا .

وتوفى رَوْح على إثر هذا ، فاجتمع الناس ليبايعوا قَبِيصة ابنَه ، وقد فرش له فى الجامع ، وكان أخوه الفضل بن روح غائباً بالزاب وعاملا عليها ، فركب أبو العنبر وصاحب البريد بعهد الرشيد إلى نصر بن حبيب فأوصلاه إليه ، وسلَّما عليه بالإمرة ، /وركبا به إلى المسجد فى من معهما حتى أتيا قبيصة وهو [١٨٩-١] جالس على الفرش ، فأقاماه وأقعدا نصراً وأعلما الناس بإمرته وقرأا كتاب[1] الرشيد عليهم فسمعوا وأطاعوا ، وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، إلى أن صُرف بالفضل بن رَوْح بن حاتم لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وسبعين ومائة ، فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر لم يعدل أحد كان قبله عدلَه فيها .

ورسالتُه التى كتب إلى العمال بها لما وَلِىَ مذكورة فى الكتاب المُغرب عن أخبار المغرب ، وهى دالة على مكانه من البلاغة والبيان .

---

(١) الأصل : وقرا كتب .

١٩٤ — عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالبلنسى

قام بالأمر لأخيه هشام بن عبد الرحمن ، إذ كان غائبا عند وفاة أبيهما بمارِدَة ، إلى أن ورد قرطبة فبادر لمبايعته وتسليم القصر إليه ، وخرج إلى داره ؛ وذلك فى غرة جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائة . ثم استوحش منه ، فهرب إلى أخيهما سليمان كبير أولاد عبد الرحمن المولود له بالشام — وكان منازعاً لهشام — وأقام معه بطليطلة . وبعد ذلك ورد قرطبة محكِّماً فى نفسه بلا عهد ولا أمان ، فقبله هشام ، وطلب الخروج إلى العدوة فأسعفه ، واتَّبعه فى ذلك سليمان ، فاستراح منهما هشام إلى أن توفى سنة ثمانين ومائة .

وولى ابنه الحكم بن هشام المعروف بالرَّبَضِىّ ، فوصل عبدُ الله من العُدوة ونزل بكورة بَلَنْسِيَّة وقدم بعده سليمانُ من طَنْجَة ، فنازعا الحَكَمَ وحارباه ، فقتل سليمان فى خبر طويل . ورغب عبدُ الله فى المقام ببَلَنْسِيَّة ، على أن يؤدى الطاعة ولا يطأ له بساطاً ، فتم ذلك .

وأقام إلى أن توفى الحَكَمَ ، ووَلِىَ عبدُ الرحمن ابنُه ، فأخَّر بيعتَه والتوى بها ، وكتب إليه يعتل عليه ، ويعدد حقوقه عنده وعند أبيه وجده ، ويسأله أن يضم كورة تُدْمِير إليه ويتجافى له عن خَرْجِها . وتقدم على تفئة[1] ذلك من بَلَنسِيَة إليها فاحتلها ، وكشف وجهه بالمعصية ، واستفز إليها مَن حواليه / فثاب [١٨٩–ح] إليه منهم خلق كثير ، عسكروا معه بباب تُدْمِير ، وكان تَوافيهم إليه فى يوم خميس أرادوا الخروج فيه نحو قرطبة ، فأتاهم وقال : « بل نصلى على بركة الله

---

(١) الأصل : تقية ، والمراد : على إثر ذلك ، وربما كانت صحتها نِيَّتِه .

غداً صلاة الجمعة ، ونفصِل يوم السبت بعده » ، فتولى الخطبة بالناس يوم الجمعة ، فأبلغ فى تذكيرهم وتحريضهم ، وكان خطيباً مصقعاً . فلما شارف مقطع خطبته قال : « معاشر الناس ! رحمكم الله ، أمِّنوا على ما أدعو الله به ، واسألوه ما أنا سائله من الخيرة فيما أؤمله » ، ورفع يده نحو السماء فقال : « اللهم إن كنتُ أحقّ بهذا الأمر الذى قمت فيه من عبد الرحمن بن هشام — حفيد أخى — فانصرنى عليه ، وافتح لى فيه ، وإن كان هو أحقّ منى — وأنا صِنْوُ جده — فانصره علىّ » ، فأمَّن الناسُ جميعاً عاليةً أصواتُهم . فلم يكد يستوعب كلامه ، حتى ضربته الريح الباردة فسقط إلى الأرض مفلوجاً ، واحتُمل إلى مكان مُضطرَبِهِ ، فأكمل الناس صلاتَهم بغيره .

ومكث عبدُ الله مسنكتاً أياماً ، ثم إن الله أطلق لسانَه ومنعه سائرَ جوارحه ، فقال لأتباعه : « إن الله تعالى قد أجاب الدعوة ، وفَصَل الخطاب[1] ، وحمانى الإمرة ، ولا مرد لحكمه . . فامضوا لسبيلكم » ، فتفرق جمعه . وصرفه أهله إلى وطنه ببَلَنْسِيَّة ، فكاتب عبدَ الرحمن بخبر علته ويأسه من نفسه ، وعهد إليه بالنظر لأهله وولده ، فأنفذ عهده ولم يعرض له إلى أن مات سنة ثمان ومائتين . وقد كان ابنُه عبيدُ الله بن عبد الله لحق بالحكم بن هشام ، وكان من ذوى مشورته وكبار [قواده][2] وأغنى « يومَ الهَيْج » أعظم غناء ، ثم قاد الصوائف لعبد الرحمن بن الحكم ، فكان يعرف بـ« صاحب الصوائف » ؛ وهو أحد رجالات بنى أمية .

---

(١) الأصل : وفَصَّل الخطة .

(٢) بياض فى الأصل .

١٩٥ — فُطَيْس بن سليمان بن عبد الملك بن زَيَّان ، أبو سليمان — الكاتب

بانى بيت الوزراء بنى فُطَيْس . دخل الأندلس فى أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية ، فضمه إلى ابنه هشام وكتب له حتى إذا وَلِىَ الخلافة ولاه السوق ، وكورة قَبْرَة[1] ، والوزارة .

وأمضاه الحَكَمُ بنُ هشام على ذلك — بعد وفاة أبيه هشام ، واستكتبه أيضاً . وكان له فى « الهَيْج » مقام / محمود . قال أبو بكر الرازى : رأيت اسمَ [١٩٠-١] فُطَيْس فى ديوان الأمير الحَكَم أولَ اسم : « أبو سليمان فُطَيس ، خمسمائة دينار » . قال : وتوفى فى أخريات أيامه .

وفُطَيْس هذا خاتمة الذين أبقيت فى هذه المائة على ما شرطتُ ، ولم أذكر فيها إلا من كان بالشعر مذكوراً ، أو على فن من فنون الأدب مقصوراً ؛ وكذلك فيما بعد .

* * *

(١) قَبْرَة : اسم كورة من كور جنوب الأندلس ، وهى أولى الكور الوارد ذكرها فى التعليق المنتقى من فرحة الأنفس ، ص ١٣ وفى ترجمة صفة الأندلس للرازى ، رقم ١١ ص ٦٥ . وكانت تلك الكورة تقع جنوبى قرطبة وشمالى كورة إلبيرة ، بينها وبين كورة جيان . وقبرة اليوم Cabra مركز إدارى فى مديرية قرطبة .

انظر : الروض المعطار ، رقم ١٣٤ ص ١٤٩ والترجمة الفرنسية ص ١٧٨ .